في تقييم شديد الانجاز
النظام القاسمي في الميزان (*)

بقلم: الدكتورة فيبي مار

ترجمة المدرس المساعد
مصطفى نعمان احمد (**)

خضع العهد القاسمي لتقييمات مختلفة من المعارضين والمؤيدين على حد سواء. فرغم ان سجل النظام كان متباينا بلا جدال، فما من شك ان عبد الكريم قاسم إحداث تغييرات جوهرية في بنية المجتمع العراقي وفي اتجاه السياسة العراقية. فزخم سياسة المساواة التي اتبعها النظام أحدثت اصلاحا اجتماعيا كان مطلوبا بشدة-في نظام حيازة الارض، وفي ملكية العراق لموارده النفطية، وفي فتح الباب امام نظام تعليمي بطريقة افضت الى تعزيز دور الطبقة الوسطى. وما كان لهذه التغييرات العنيفة ان تحدث دون ان يصاحبها اضطراب، بيد ان تجاوزات اليسار، لاسيما الشيوعيين، اقلقت المحافظين والقوميين فضلاً عن القوى الخارجية كالولايات المتحدة الامريكية، الامر الذي اوجد رد فعل عنيف افضى الى الاطاحة بالنظام. وقد اسهم عدم الاستقرار المستمر اسهاماً جوهرياً في بلورة نظام سلطوي.

وقد اثر عبد الكريم قاسم اتباع سياسة "العراق اولاً" بدلاً من التورط بمشاريع وحدوية عربية. فقد اظهر ومناصروه-في بادئ الامر-رغبة بالقيام باعادة تنظيم اجراءات اقتسام السلطة داخلياً. وكان ينبغي ان يكون لهذا الامر تأثير ايجابي في تعزيز مشروع (الدولة-الامة)، الا ان شيئاً من هذا القبيل لم يحدث. فالخشية من النفوذ الشيوعي اشعلت شرارة يقظة دينية بين الشيعة. وتمثل الامر الاخطر في عودة الملا مصطفى البارزاني واحياء الحركة الكردية، ودشن بدء حرب كردية متقطعة، لكنها مستمرة، ابتلت بها الدولة لعقود.

وقد حول عبد الكريم قاسم ايضاً اتجاه الدولة من الغرب الى الكتلة السوفيتية. وتمثل الهدف من هذا التحول في تعميق استقلال العراق، وهو هدف تم تحقيقه الى حد ما (فالعلاقات مع الاتحاد السوفيتي لم تكن وثيقة قط على النحو الذي كانت عليه علاقات النظام الملاكي مع بريطانيا) غير ان هذا الاتجاه ازعج الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لخشيتهما من التهديد الشيوعي، الامر الذي ادى الى عزلة العراق. واتجاه العراق الجديد ازعج ايضاً وبشدة العالم العربي والقوميين العرب العراقيين، الذين حشدوا صفوفهم للاطاحة بالنظام.

وفي النهاية، فان الحصيلة الاهم لحكم عبد الكريم قاسم الذي امتد لاربع سنوات ونصف السنة كانت سلبية: الاخفاق في اقامة مؤسسات سياسية لحكم العراق. فرغم بعض المحاولات الواهنة لتحقيق انفتاح في النظام السياسي، لم يسن دستور دائم، ولم تنبثق مؤسسات تمثيلية، ولم تقم انتخابات.

(*) هذا الموضوع مستل من كتاب (تاريخ العراق المعاصر) لمؤلفته الدكتورة فيبي مار الخبيرة الاولى بالشؤون العراقية في الولايات المتحدة الامريكية والتي تعمل الان باحثة ومؤرخه في المعهد الامريكي للسلام.

(**) مدرس مساعد في كلية الاداب-الجامعة المستنصرية.

وبدلاً من ذلك، مارس قاسم الحكم من خلال مجلس وزراء خضع لسيطرته، وركز بيديه السلطات التنفيذية، والتشريعية، واحياناً القضائية، اما محكمة المهداوي فقد جعلت العدالة موضع سخرية ودمرت بشكل دائم مفهوم حكم القانون وممارسته.

وزيادة على كل هذا او ذاك، فان العهد القاسمي فتح الباب على مصراعيه امام انغماس الجيش في السياسة. فالجيش منذ ذلك الحين فصاعداً تدخل في السياسة مرمراً، الامر الذي افضى الى غياب الاستقرار وانبثاق انظمة سلطوية على نحو متزايد وتظهر نتيجة هذه العملية اللولبية بجلاء مع استخدام البعثيين والقوميين العرب للجيش للاطاحة بنظام قاسم في حدث من اشد الاحداث دموية خلال العقد الثوري.